خطبة الجامع الأموي لفضيلة الشيخ مأمون رحمة

٦ من صفر ١٤٣٦هـ / ٢٨من تشرين الثاني ٢٠١٤م

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، اللهم صل وسلم وبارك على نور الهدى مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين، وارضَ اللهم عن الصحابة ومن اهتدى بهديهم واستنّ بسنّتهم إلى يوم الدين.

من اعتمد على علمه ضلّ، ومن اعتمد على عقله اختلّ، ومن اعتمد على سلطانه ذلّ، ومن اعتمد على ماله قلّ، ومن اعتمد على الناس ملّ، ومن اعتمد على الله، فلا ضلَّ ولا قلَّ ولا ملَّ ولا ذلَّ ولا اختلَّ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

عباد الله، أوصي نفسي وإياكم بتقوى الله عزَّ وجل، واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين.

يقول المولى ﷻ في محكم التنزيل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور: ١٩].

معاشر الإخوة: عندما تجتاح الحروب بَلداً ما تَعم الفوضى، وينتهزُ الفرصة أصحاب النُّفوس الدَّنيئة للصيد في الماء العكر، ويكثر المسيؤون ويسعون في الأرض فساداً، وفي مقابل ذلك تجد الكثير من الناس يَصمتون إزاء ذلك، فهذا الأمر يَجعلك تتساءل: هل يوجد هناك أزمة شهامة بين أبناء البلد لم تكن تعرف فيهم قديماً؟ كَان اللِّص إذا اختطف شيئاً من أحد تبعه المارون بالشارع، حتى يمسكوا بخناقه ويُوسعه ضرباً ويسلموه لرجال الشرطة، وكانت صيحة "حرامي" لا تكاد تُسمع حتى تَهرع الجماهير إلى مصدر الصوت لنجدته، أما الآن فَقَد تَغَيَّرَت الحال يَهجم لِصَّان على سيارة ملأى بالرجال والنساء، فيُباشر أحدهما السرقة ويُشهر الآخر سلاحه حامياً له، والنَّاسُ سُكوت، والأنظار تائهة، إلى أن تتم الجريمة ويختفي اللصان في أقرب محطة، ماذا لو عَلَت صيحات الاستنكار، ونهض أهل الشهامة والجراءة بمقاومة المغيرين ولو تعرضوا لبعض الأذى، إنهم مُنتصرون عليهم يقيناً، فَلن يَغلب اثنان عِشرين أو ثلاثين مِن الرُّكاب، ولكن أزمة الشَّهامة استحكمت، فَقَوِيَ اللُّصوص وطَغَى شَرُّهُم، ولو قَذفوا باللص الْمُغير مِن السيارة المنطلقة لَسُفك دمه وذهب غير مأسوف عليه، ولكن النَّاس مِن خَوفِ الذُّلِّ فِي ذُل.

إن أزمة الشهامة هي التي تُسوِّل للص أن يَمتطي دراجة ويَخطف قلادة من عنق فتاة أو محفظة من يدها ويَمضي في طريقه غير آبه لشيء، ولو أن جمهور الشارع كان يَقظاً لَتَابعه بصراخ الإنذار حتى يُنزله من

فوق دراجته ويُسترد المسروق ويُسَلَّم المجرم للعدالة، لا نَدري هَل سَيطَرَت عَلى النَّاس غَيبوبة –يا سادة– ففقدوا الإحساس بما حَولهم، أم هم يُحسون به ولكن الأمر لا يعنيهم، ولا يُوقظ انتباههم.

لَقد ورد في الحديث القدسي أن الله ﷻ قال: ((وعزتي وجلالي لأنتقمن من الظالم في عاجله وآجله، ولأنتقمن ممن رأى مظلوماً فَقَدَرَ أن يَنصره فلم يفعل)) لماذا لم يَفعل؟ قِلة اقتراف بالجريمة، قِلة عَطف على الْمُهان، قِلة شُعور بالأخوة المشتركة.

إن المواقف قِصاص، والأعمار ممتدة، وستشعر يوماً بالوحشة وأنت تبحث عن نصيرٍ فلا تجد، لأنك فعلت ذلك يوماً مع غيرك.

يا سادة: كان الناس قديماً لا يتكلفون الاشمئزاز من اعتداء أو تحرش على فتاة يقع، بل يَغضبون ويثورون كالبركان إذا حدث ذلك. كانت السيدة إذا دخلت عربة مُزدحمة قام لها فوراً من يُجلسها مكانه من الرجال احتراماً للأنوثة وتكريماً للأعراض، أما الآن فتسمع قصص الاغتصاب الخسيس، والاحتيال على فَتاة ضَعيفة، واستغلال مِحنتها بنذالةٍ هائلةٍ للإيقاع بها، ومِن الظاهر أن تَقاليد الخَير تَذبُل وتتلاشى مع ضَعف الحماس لها، وأن تَقاليد الشر تنمو وتَرسو مع ضعف النكير عليها، مِن أجل ذلك كانت الخصائص الأولى للأمة التي تَحمل رسالة الإسلام؛ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكانت الشروط الأولى لانتصارها أَن يكون هذا النصر طريق لتكوين بيئة تزدهر فيها العبادة، ويسودها التَّراحم، وتستحكم فيها الرقابة على السلوك العام، وتظهر العلامات الحمراء والخضراء باستمرار في طريق المبادئ والأخلاق، فما كان مَعروفاً سُمح لها بالمرور، وإلا وقف في مكانه وأغلقت في وجهه كل الطرق، ذلك مَعنى قوله ﷻ في سرد مؤهلات النصر: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١].

إِنَّ الصفة الكرامة والمروءة والشهامة هِي صِفة الأنبياء والمرسلين، وقد بين القرآن الكريم ذلك، هذا موسى عليه السلام يَنصر الرجل المستضعف من شيعته ويرد عنه العدوان، أخذته الشهامة، موسى عليه السلام أخذته الشهامة، أخذته صفة الرجولة والكرامة والإباء، فهو يرفض أن يرى رجلاً من شيعته يُعتدى عليه بظلم وعدوان إلاَّ أنْ يَنصره، قال سبحانه: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ [القصص: ١٥].

وها هو ذا أيضاً يَصون العرض ويحفظ الأنوثة من الفساد والضياع، بعيداً عن مواقف النذالة والاستغلال، قال سبحانه: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ * فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٣-٢٤]. إنها الشهامة والمروءة، إنها صفة الحفظ على الأعراض والقيم والمبادئ، إنها صفة تَرفض الرذيلة وتُحارب أصحابها، تَرفض الذين يَستغلون ظُروف الآخرين، فَكم من إنسان -يا سادة- خُطف، والنَّاس يَنظرون إليه دُون أن يَنصره أحد، وكم مِن امرأة اغتصبت دُون أن يَصونها أحد، فأين الشهامة ورجالها؟ أين الشهامة ورجالها؟ أَمَا يَثور غضبك -أيها السوري- عِندما تَرى السَّفلة والسَّاقطين يَعتدون على الفتيات السوريات في المخيمات الأردنية والتركية؟ أَمَا يَثور غضبك -أيها السوري- عِندما تَرى "داعش" تَنتهك أعراض السوريين تحت مُسميات "جهاد النِّكاح"؟ أَمَا يَثور غضبك -أيها السوري- عِندما تَرى "داعش" تُلقي بأبناء وَطنك في حُفرةٍ عَميقةٍ وهم أحياء؟ أَمَا يَثور غَضبك -أيها السوري- عِندما ترى "داعش" تُمزق عَلَم بِلادك وترفع عِوَضاً عَنه رَاية القتل والإجرام؟ فَهَل بَعدَ هَذا وذاك يَحِقُّ لَنا أن نَسكت عن إجرامهم، أو أن نَحتَفِي بِمَن يُهددنا بالموت؟

اسمع أيها العربي، اسمع أيها السوري، إلى هذه القصة القصيرة، وخُذ منها عِبرةً تنطبق على حالك اليوم: قَرأت كَلمة للأستاذ المصري "أنيس منصور" قال فيها آنذاك: {يَحتفل العالم بمرور أربعين عاماً على استخدام القنبلة الذرية ضد اليابان، وفي هذه المناسبة الحزينة طلع علينا الرئيس الأمريكي "نيكسون" يقول: -اسمعوا يا عرب ماذا قال "نيكسون"- إنه كان سَيُلقي قنبلة ذرية على السويس أو بور سعيد أو القاهرة بَعد انتصارات حرب أكتوبر، لأن هزيمة إسرائيل تُعادل هزيمة أمريكا أمام اليابان، وأمريكا لا تَسمح بشيء من ذلك، هذا السفاح الأمريكي "نيكسون" هو الذي لقي في مصر أعظم استقبال لرئيس أجنبي، إن الجماهير التي خرجت إن الجماهير الطَّيبة التي خرجت لاستقباله هي التي كان يُريد القضاء عليها بقنبلة ذرية} نحن لم نستغرب -يا سادة- كثافة الشر في نفس "نيكسون" أو غيره من رؤساء الدول الأوربية إنه وليد ضغائن تتنامى من ألف عام، تستنكر علينا نحن العرب حق الحياة وتريد أن تذيقنا ألوان الخطوب، إنما نستغرب بلاغة من استقبلوا "نيكسون" ونظموا له هذا الاستقبال بحفاوة وتكريم.

إن المطارق -يا سادة- التي هوت على رأس الأمة العربية والإسلامية كانت من الداخل لا من الخارج، هذه حقيقة يَجب أن نفهمها، هذه حقيقة يجب أن نعيها، هذه حقيقة يجب أن نَقف عندها وأن نُفَكر

بتدبر وروية لعلاجها، "داعش والنصرة" مَن الذي أتى بهم إلى سورية؟ أليس هم من ادعوا الحرية من أبناء هذا الوطن؟ وها هي "داعش" اليوم تَقتل كل إنسان يَنتمي إلى الجيش الحر، وتمنعه من أن يرفع علم الانتداب لأنه علم علماني كما تقول "داعش"، وترفع عوضاً عنه راية القتل والإجرام تحت مظلة الإسلام وتحت غطاء الإسلام، واليوم كم يعاني أهلنا في الرقة وفي الحسكة وفي دير الزور وفي الغوطة الشرقية وغيرها من الأماكن التي جاءها المرتزقة من كافة أنحاء العالم ليقتلونا جميعاً كسوريين، إما أن تكون معي أو تكون ضدي، هذه هي عَقيدتهم وهذا هو منهجهم، إما أن تكون معي وإما أن تكون ضدي، والأمر الذي يَجعلك تستغرب وتتساءل أيها السوري، لماذا لا نكون جميعاً في صف واحد وفي خندق واحد، لكي نَركل بأقدامنا هؤلاء الحثالة، ونردهم إلى الأردن من حيث أتوا، ونردهم إلى تركيا من حيث أتوا، ونردهم إلى بلادهم من حيث أتوا، ألا تَسمعون أيها السوريون كَيف أصبحت بريطانيا تتبرأ من إرهابيها التي أَرسلتهم سورية، وكذلك أمريكا وكذلك السويد، وكذلك الدول العربية كافة، هذا الأمر يَجعلك تتساءل وينبغي أن تتخذ موقفاً حاسماً عنده، أنه يجب عليك أن تُحارب "داعش والنصرة" يَجب عَليك أن تَصون أَهلك وعِرضك، يَجب عَليك ألا تَخاف إلا الله، وألا تُؤمن إلا بالله.

أقول حقيقة أيها السوريون، يَجب أن نَتَفَوَّهَ بها: مَن كان يُؤمن بالله فَليَبقَ في سورية، ومَن كان يُؤمن بداعش والنصرة ويَخافُ مِن كُفرهم وإجرامهم فليرحل، هَذه حقيقة يَجب أن نُدركها، هذا الوطن لا يحتاج إلى متخاذلين، هذا الوطن لا يحتاج إلى مراوغين، هذا الوطن لا يحتاج إلى أشباه رجال، سورية أم الرجال، دمشق أم العظماء والأبطال، من أراد أن يعيش في هذا الوطن يجب أن يكون رجلاً، يجب أن يتصف بصفة الشهامة، أين شهامتنا نحن كسوريين عندنا نرى الليبي والسعودي والأردني والأسترالي، هؤلاء المرتزقة يَقطعون رؤوسنا وينتهكون أعراضنا، ويدمرون البنية التحتية لوطننا، كم ضربوا شبكة ومحطات كهرباء، كم ضَربوا وكم حَاولوا أن يُدمروا لنا شَبكات المياه، يُريدون أن يَمنعوا علينا حتى الهواء الذي نَستنشقه، فهل بعد هذا وذاك –يا سوريون– نركع، نخنع، نَخافهم ولا نَخاف الله، إنهم مرتزقة، مِن هؤلاء حتى نركع لهم؟ من هؤلاء حتى نحسب لهم حساباً؟ إذا مِتَّ في سبيل وطنك مِتَّ مِيتة شَريفة عزيزة، أما إذا مِتَّ وَأنت خائن وضعيف وذليل فَإِنَّ وَلدك سوف يحتقرك، إن أول من يَحتقرك هُوَ وَلدك، لأنه يَقول في نفسه: إن والدي كان شِبه رجل ولم يكن رجلاً.

فأعود وأقول: إننا بحاجة إلى شهامة، وأزمة الشهامة المستوطنة بَيننا تجاه ما يجري في سورية ينبغي أن نحاربها، وينبغي أن ننبذها من صفوفنا، وأن نقف جميعاً في صف واحد، دَخلنا في العام الرابع، وها هي تُركيا بزعامة اللِّص "أردوغان" يمول الإرهابيين ويُرسلهم إلى دمشق، يُرسلهم إلى سورية بشكل عام، وها هي الأردن لم تَحفظ حدودها، فهي تُريد أن تقوض أركان سورية حماية لجارتها بني صهيون، الطريق أصبح واضح، والصورة واضحة، نحن كسوريين اليوم يَجب علينا أن نَنفُضَ غُبار الذُّلِّ مِن عَلى كواهلنا، وأن نَقول للعالم بأسره: لا، لا لإجرامكم، لا لقتلكم، لا لضلالكم، لا لكفركم، فنحن السوريون سندافع عن أرضنا مهما كان الثمن، نحن السوريون سندافع عن حضارتنا مهما كان الثمن، وسنعلمكم في الأيام القريبة القادمة أن دمشق كانت موئلاً للإسلام وكانت مَحضناً للإسلام، وأما أنتم فزعمتم الإسلام وتلوتم القرآن وحرفتموه على حسب ما يُناسب قتلكم وغدركم ومكركم، وشَوَّهتُم صورة الإسلام، حتى أصبحنا نَسمع أن في مصر "أم الدنيا" قد أصبح ما يَزيد عن مليوني إنسان ارتدوا عن الإسلام، كل ذلك بسبب الفكر الوهابي الظلامي والفكر الإخواني الشيطاني الذي يُحارب الإسلام باسم الإسلام وتحت مظلة الإسلام.

إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

الخطبة الثانـــ٢ـية:

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن مُحَّداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا مُحَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

عباد الله اتقوا الله، واعلموا أنكم ملاقوه، وأن الله غير غافل عنكم ولا ساه.

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات، اللهم ارحمنا فإنك بنا رحيم، ولا تعذبنا فإنك علينا قدير، اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين، اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً هنيئاً مريئاً مريعاً سحاً غدقاً طبقاً مجللاً إلى يوم الدين، اللهم زدنا ولا تنقصنا وأعطنا ولا تحرمنا، اللهم إنا نسألك أن تنصر الجيش العربي السوري، وأن تُثبت الأرض تحت أقدامهم، وأن تُسدد أهدافهم ورميهم يا رب العالمين، وأن تَكون لهم مُعيناً وناصراً، اللهم وَفق السيد الرئيس بشار الأسد إلى ما فيه خير البلاد

والعباد، وَخُذ بِيَده إلى ما تُحبه وتَرضاه، واجعله بشارة خير ونصر للأمة العربية والإسلامية، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.